

يحيى وعيسى

**بين الميثولوجيا والتاريخ : قراءة في النصوص الدينية والشعر المندائي
عبد الرزاق عبد الواحد وليعة عباس عماره أنموذجين**

طالب الدكتوراه حسين عباسي

الأستاذ المشارك الدكتور حميد أحمديان (الكاتب المسؤول)

ahmadian1776@yahoo.com

الأستاذ الدكتور سيد محمد رضا ابن الرسول

ibnorrasool@yahoo.com

الأستاذ المشارك الدكتور نرگس گنجي

nargesganji@yahoo.com

جمهورية إيران الإسلامية

جامعة إصفهان – كلية اللغات الأجنبية – فرع اللغة العربية وآدابها

**Yahya and Isa between mythology and history ; reading in
religious texts and Mandaean poetry Abdul Razzaq Abdul
Wahed and Lameai Abbas Omara two models**

Hussein Abbasi

**PhD student , Department of Arabic Language and Literature , University of
Isfahan , Iran .**

Hamid Ahmadian (Corresponding author)

**Associate professor of Department of Arabic Language and Literature ,
University of Isfahan , Iran .
ahmadian1776@yahoo.com.**

Seyyed Mohammad Reza Ebn al-Rasoul

**Professor of Department of Arabic Language and Literature ,
University of Isfahan , Iran .**

Narges Ganji

**Associate professor of Department of Arabic Language and
Literature , University of Isfahan , Iran .**

Abstract:

The Holy Quran considers Yahya and Jesus as divine prophets, pointing to their time and lives, not mentioning another part of their lives, but writers and poets have added unspoken parts of their life - as needed.

Given the many differences in the lives of these two Prophets, the scholars do not find themselves in the presence of a Yahya and a Jesus in their historical books and sacred books (Quran, The Four Gospels, The Ginza Rba, and Dirashat Ed Yahya). But we encounter Jesus with the Qur'an "Jesus of Mary," the Evangelical Jesus, or Jesus "Jesus the Crucified" and "Jesus the Apostle ", because the Mandaean scriptures make Jesus the apostles of John. There are also " Quranic Yahya", Evangelical Yahya" or "Yohanna the Baptizer" and "Mandaean Yahya" differently.

Most of the Mandaeans consider themselves the Sabeins mentioned in the Qur'an. In this study, two Mandaean poets, Abdul Razzaq Abdul Wahid and Lamayat Abbas Ammarah, were chosen to measure their commitment to the views of the Mandaean religious texts around Jesus and John. Although the two poets are aware of their religion, they use the thoughts and images of Jesus and John and do not go away from the frameworks - although many of these frameworks are opposed to the clear message of their religion. The poems of these two are used to illustrate the biblical and Islamic texts.

Keywords : Mandaean Sabeins , Yahya , Jesus , Myth , Abdul Razzaq Abdul Wahid , Lamayat Abbas Ammarah

المُلخَص :

يعتبر القرآن يحيى وعيسى من أنبياء الله، وذكرت آياته بعض صفاتهم وملابس حياتهم، ولم تذكر بعضها الآخر، ولذا لجأ الباحثون من ناشرين وشعراء إلى ملء الفراق الذي تركه القرآن كي تكمل الصورة لدى كل من يعتني بحياتهما؛ وقد اختار بعض من كتب حولهما - ولا سيما الشعراء - رجالاً ونساءً - ما وجدوه نافعاً لمشروعهم وما يثري نصوصهم وصورهم. ويجد الباحث في الكتب التاريخية والكتب المقدسة (القرآن، الأناجيل الأربعة، كتب المندائيين: كنزاً ربياً ودراسة إديها) أنه ليس أمام عيسى واحد ولا يحيى واحد. فهناك عيسى قرآني وهو (عيسى بن مريم)، وعيسى إنجيلي / يسوع وهو (عيسى المصلوب)، و(عيسى الحواري) - فقد عدته كتب المندائيين من حواريين يحيى. كما أن هناك (يحيى قرآني)، ويحيى إنجيلي وهو (يحيى المعمدان)، و(يحيى مندائي) - الذي تزوج وكان له أربعة أولاد، وأربع بنات، ومات حتف أنفه.

الكلمات الرئيسية : الصابئة المندائيون -

يحيى - عيسى

الميثولوجيات

عبد الرزاق عبد

الواحد - لميعة

عباس عمارة .

المقدمة

وردت مفردة الصابئين - مرتين منصوبة ومرة واحدة مرفوعة - وهي جمع كلمة الصابي في ثلاث سور من القرآن ، إذ جاءت هذه المفردة في الآية ٦٢ من سورة البقرة، والآية ٦٩ من المائدة، والآية ١٧ من سورة الحج ، وقد استخدم القرآن هذه المفردة إلى جانب اليهود، والنصارى، والمجوس بصفتها ديانات يعرفها عرب العصر الجاهلي، وسكان الجزيرة العربية.

أما مفردة الصابئي تعني في اللغة العربية «مَن خرج من دين إلى دين آخر» (ابن منظور، «صرباً»؛ أي الخارج عن ديانة أسلافه، لكن مفردة صابي في اللغة المندائية - وهي إحدى اللهجات السبع من اللغة الآرامية - تعني الدخول في الماء الجاري للطهارة وتحديدًا في ماء النهر - وذلك من أجل غسل التعميد؛ إذ أصل كلمة (صبا) / (صوا) المندائية غير مهموزة، ومعناها العماد والتطهير. وقد أدى الاختلاف في المبنى إلى الاختلاف في المعنى، وبالتالي في الرأي والفتوى حول الصابئين طيلة قرون، وذلك بسبب هذا الاختلاف الفاحش والمعنى المعجمي الذي عزلهم من منظور الفقهاء المسلمين عن باقي (أهل الكتاب)، بحيث اعتبرهم المسلمون في جلّ القرون المنصرمة غير موحدين، وبالتالي مشركين ونجسين. ومن أهم أسباب التوكيد على ذلك الرأي هو أن مشركي مكة وصفوا النبي «وصحبه الأوائل بالصابئة في عصر صدور الدعوة الإسلامية، فقد اصطلاح اللغويون على اشتقاقه من الجذر الثلاثي المهموز الآخر (صبا)، وهو يفيد معاني المستحدث ديناً سوى دينه، أو المرتد عن دينه إلى دين لا يعرفه قومه ﴿...﴾ ومن الواضح أن النعت بـ(الصابئي) قياسي، كان نعتاً على الذم والاستهجان، وربما كان يعطي عند العرب المعاصرين الوقع نفسه الذي يحدثه نعت (الملحد) اليوم.» (العدوي، ٢٠١٢م: ٤٢) وهناك مفردات كثيرة يطلقها الباحثون على الصابئين أو بعض فرقههم التي عرفوا بها - مضافاً إلى مفردة الصابئين القرآنية؛ فنجد عند صاحب الملل والنحل مفردة: «الحرّانية: وهم جماعة من الصابئة.» (الشهرستاني، ٢٠٠٨م: ٢٤٨) وقد أراد الحرّانية - نسبة لموطن ينسبون إليه وهي حرّان، تلك البقعة التي وقعت فيها قضية الحرّانيين المعروفة مع المأمون بن هارون الرشيد. والصابئة عند بعض آخر هم

الحنفاء أو الحنفية البيضاء، لأن الحنف في اللغة هو «الميل في صدر القدم، ورجلٌ أحنف، ورجلٌ حنفاء» (الفراهيدي، «حنف») فذلك يدعم رأي من قال أنهم انخرقوا وخرجوا عن دين الأسلاف - وإن لم يصدق قول من ادعى خروجهم عن دائرة التوحيد. وقد أشار إلى معنى الحنف بعض المستشرقين المعاصرين. فحين «تمت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الآرامية السريانية في القرن الثاني من ميلاد المسيح، كانت مفردة hanpa (حنيف) الآرامية قريبة من معنى (المُخادع)، وصارت تُستخدم للحط من شأن الفرد بمعنى أنه كافر ﴿...﴾ أو غير يهودي. وقد استعملها المسيحيون الأوائل الذين يتكلمون بالآرامية للدلالة على الكفار أيضاً.» (بلادل، ١٣٩٣هـ.ش: ٢٠٥)

والصابئة هم المندائيون - كما يود اليوم أكثر المندائيين اعتبار أنفسهم نفس الصابئين المذكورين في القرآن والتاريخ الإسلامي. ونجد هذا التعريف لتركيب (الصابئة المندائيين) ما يبرر استخدام المفردتين معاً: «كلمة الصابئة مشتقة من الفعل الآرامي - المندائي (صبا) ويعني اصطبغ، تعمّد، ارتمس في الماء. أمّا كلمة (مندائيين) فمشتقة من (مندا) والتي تعني في المندائية (المعرفة) أو (العلم). وبذلك يكون معنى عبارة الصابئة المندائيين: المصطبغين / المتعمدين العارفين بدين الحق.» (صالح، د.ت: ٨)

والصابئة هم (المغتسلة) / (الغسالون) ويعرفون في الفارسية بـ(شويندكان) و(آبشودك) - كلاهما بالكاف الفارسية. فقد ذكر ابن النديم في حديثه عن مذاهب المانية حول (ماني) وأبيه (فاتك): «لحق بقوم كانوا بنواحي دستميسان ﴿حالياً في إيران: دشت آزادكان وهو سهل ميسان﴾ يعرفون بالمغتسلة، وبذلك النواحي والبطاح بقاياهم.» (ابن النديم، د.ت: ٣٢٤) وهم صابئة البطائح. «والبطيحة: ماء مستنقع بين واسط والبصرة، لا يرى طرفاه من سعته، وهو مغيض دجلة والفرات، وكذلك مغيض ما بين البصرة والأهواز.» (الفراهيدي، «بطح»)

ومضافاً إلى ما يعرفون به في الأوساط العراقية والإيرانية بالصبة والصبة - فالعراق والأهواز أهم مواطنهم في العصر الراهن، بل منذ مئات السنين - هناك آراء أخرى في وجه تسميتهم وانتسابهم، منها أن «الصابئة المذكورين في ثلاث آيات من القرآن هم المانويون الذين كتب عنهم المسلمون، وكانوا يُعتبرونهم زنادقة قريش.» (دائرة المعارف

قرآن، ١٣٩٦هـ.ش: ٣) وبالتالي فليس هناك اتفاق على تسمية الصابئة - فضلاً عن معرفة تاريخهم، ورؤيتهم إلى الخلق، والحياة، والشور، وكتبهم، وأنبيائهم.

ومع هذا، بما أنّ الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد والشاعرة لميعة عباس عمارة يعتبران من الشعراء المندائين العراقيين المعاصرين، بحثَ هذا المقال في نصوصهم الشعرية - أربع عشرة ديوان لعبد الرزاق عبد الواحد، وخمسة دواوين للميعة عباس عمارة - فوجدهم يعرفون الطقوس المندائية وتاريخ هذه الديانة وميثولوجيتها معرفة تامة، وانعكست بعض المفردات والمصطلحات والرموز المندائية في دواوينهما الشعرية.

عبد الرزاق عبد الواحد ولميعة عباس عمارة كشاعر ين صابئين مندائين
في معرض رثاء عبد الرزاق عبد الواحد للسيد مرزة القزويني ، يعلن الشاعر الراثي
عن صداقة الصابئة والمسلمين العريقة ، وهو الإخاء المشف للأسماع بين أبي إسحق مع
الشريف الرضي، ورثاء هذا الأخير الشيوعي لصديقه الصابي:

لذلك لم يظهر الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ولا الشاعرة لميعة عباس عمارة - في الأكثر - كشاعرين يتتميَّان إلى ديانة الصابئين المندائيين في الأوساط الشعرية العراقية والعربية. وقد لم يُريدا ذلك أو لم تَسْمَح لهما بذلك الظروف التي كانت مستولية على الشعب العراقي والحكومات العراقية - لا سيما في فترة سلطة (صدام حسين) التي ظهر فيها الشعاران. فلنا أن نصنّف عبد الرزاق عبد الواحد في تلك الفترة شاعراً وطنياً ، بل حزبياً كرّس جلّ اهتماماته - سواء في الحياة الفردية أو الشعرية - لخدمة الساسة العراقيين، وإن أراد - كما ذكر في بعض الحوارات - من خلال خدمته للنظام العراقي تشييدَ دور العراق / الوطن.

ونجد عبد الرزاق عبد الواحد مخاطباً نفسه، يشير - ولو بشكل غير مباشر - إلى ما أرادت المعاجم العربية من مفردة (صبأ) بمعنى الخروج عن الدين والميل عن الصراط المعهود، وإلى ما يحل بمن أراد أن يتنبأ أي أن يكون نبياً يتحدث عن لسان المغييات - كما اتهم نبي الإسلام في بداية دعوته في مكة، فقليل إنه يتصبأ:

«يَا عِبْرَدَةَ الرَّزَّاقِ»

إن كنتَ تَحُولُ أن تصبأ
أو تنبأ فأخرج من جلدك هذا.»

(عبد الواحد، ج ٣، ٢٠٠٢م: ٢٦١)

فالتبأ كالتصبأ خروج عن المعهود - بل عند عبد الرزاق يُعادل الموت، وبتعبير شعري يساوي خروج / إخراج الروح عن الجسد.

وبما أن المَطْهَر الوحيد في الديانة المندائية هو الماء الجاري ، أراد عبد الرزاق من هذا الماء المقدس أن يغسل دنسَ لهيب النار . فالنار في المندائية مذمومة، وبوسع الماء أن يقهرها - كما في أول كُتب المندائيين وأقدسها: «الحياة بفرح تكلمت مع الأثريين (الأثريون جمع الأثري وهو الملاك) ، قالت: مجدوا قوّة الأثري الذي عالج النار بالماء.» (كنزا رباً اليمين ٣، ٢٠١٠م: ٦٥) كان عبد الرزاق عبد الواحد ضمن لجنة التدقيق والسّلامة الفكرية لهذا الكتاب المقدس (كنزا رباً) ، بل انفرد عمله فيه فأعاد صياغته الأدبية على نهج النثر الذي كتبه الكهّان قبل الإسلام . فقد استوحى عبد الرزاق مما جاء في كتابه المقدس أعلاه، فأنشد:

«يا أيها المَطْهَرُ السُّرْمدي
إليك حملتُ لهبي
أنسا القدام المتصبي
المتنبئ المتنبئ...»

(عبد الواحد، د.ت: ١٦)

ويكرّر الشاعر استخدامه لمفردة صبأ في معناها العربي المعجمي المتداول وقد أراد من خلال هذا المعنى أنه خرج عن حبه لكلّ سياسات أخرى وانصهر في سياسات بغداد - عاصمة وطنه - وقادتها من حزب البعث:

«بلى صباؤا قبلي .. وإنّي سأصبأ فأبدأ منك الآن ما دمتُ أبدأ!
تجمّعت الدنيا عليك، بليها بكلّ ضوايرها .. فعاثوا، وأوبأوا

﴿...﴾

سلامٌ على بغداد .. لا مثلَ شمسها ولا كدُجها، دارةٌ تتلأأُ»

(عبد الواحد، ١٩٩٨م: ٦٨ – ٦٩)

ومع هذا الذوبان لم تنجُ بعض قصائد شاعرنا من مقصّ الرقابة - كما ادّعى ذلك في المجلّد الرابع من أعماله الكاملة.

ومن القصائد التي تدلّ على معرفة عبد الرزاق بالمفردات والطقوس المندائية، حديثه عن الماء الجاري (النهر بالتحديد)، في هذه الديانة المائية:

«أيُّه_____ النهر_____ رُ
أُن_____ت أبُ
ك_____لُ م_____ا في_____ك
حتّى رواسى رواسى بكَ الخافى_____ه
وهي تقذف في وجهنا الط_____ين،
تمنحنا الحُب_____بُ
والدفع_____دفع
والعافى_____ه.»

(عبد الواحد، ٢٠٠٥م: ١٠)

ويكفيّننا للتوكيد على مدى معرفة الشاعر بالطقوس المندائية أن نقرأ ما أنشده في رثاء العالم المندائي عبد الجبار عبد الله، وقد شرح مفردات هذه الطقوس في هامش القصيدة:

«سأنتُ قافيتي .. عساني	فيك أطمشُها عساني
فأقولُ جئتُ محاولاً	أكسوه .. ها هو قد كساني! ﴿...﴾
شمسانٍ مندائيتانٍ	بكل حُب تُشرقان
تهبّانٍ للبشرِ النضارة	والمحبّة والأمانى ﴿...﴾

فبأي آلاءِ الذي أعطيتمـاه يَكـذبان؟!»

(عبد الواحد، ١٩٩٧م: ٥٠ - ٥١)

والطماشة مفردة مندائية تعني التعميد. والشاعر يعترف أحياناً بأنه يمارس طقوسه الدينية - وإن كان هذا الاعتراف يأتي في حبكة يُستشف منها غير ذلك. فمن المعروف وقوف المندائيين على ضفتي (الفرات)، و(دجلة) في العراق، و(كارون) و(الكرخة) و(اليراحي) في إيران - في الأهواز وضواحيها - لتلاوة تراتيل من نصوص كتبهم الدينية، والتعميد في الأعياد ومراسيم الزواج - كما أنشد عبد الرزاق، ولكنه استعار مفردة الإنجيل لكتابته كنزاً ربياً:

«كَمْ .. كَمْ قرأتُ على شطيكَ وكم بنيتُ على المجرى عرازيلي
كُتبتُ فيك مزاميري بحرٍ دمي فأين تقرأ إنجيلاً كإنجيلي؟!»

(عبد الواحد، ٢٠٠٨م: ١٦٩ - ١٧٠)

وللتوأم أو الشبيه أو القرين مكانة ميثولوجية - وعند البعض أسطورية - في الديانة المندائية، فكل مندائي ومندائية شبيه في العالم العلوي. فهناك شخص يدعى (آدم كسيه) / (أدكاس مانا) وهو قرين آدم النبي، يسكن العالم الخفي: «أنا أدكاس مانا، الذي من البلد الخفي أتى.» (كنزا رباً اليمين ١٢، ٢٠١٠م: ١٩٠) وهذا العالم - كما كتبت عنه الليدي دراوور: «عالم مثالي؛ عالم معزول عن هذه الدنيا، إنه عالم الكائن الحق، عالم غير أرضي، عالم المثل، والذي يوجد فيه الصنو / النظير لكل شيء في العالم المادي.» (دراوور، ٢٠٠٨م: ٤١) وقد أخذ (ماني) هذه الفكرة وتطوّرت في ديانته، «إذ كما كتب ابن النديم والبيروني، نزل الوحي على ماني عندما كان طفلاً، من روح تدعى (نرجمينك) «التوأم» (بهبهاني، ١٣٨٤هـ.ش: ١١) وماني وأبوه عاشا ستة أعوام بين المغتسلين الذين عند الأكثر هم صابئة البطائح.

وفي الشعر المندائي المعاصر نجد هذه الفكرة الدينية - أي القول بوجود شبيه لكل مندائي ومندائية - في قصيدة للميعة عباس عمارة - دون أن تذكر مصدر وحي الصورة: «أعود إليك شبيهي وأنْتَ تعودُ إليّ هـ

تُنازعني، تحتويني وتَفنِّى وتنحلى فيَّ هـ
أَقْبَرُ لُوجهُ كـ
أدري

شِفاهك
مِن شَن فتِي
مرايا باغـ يرزجـ اج
أثيرية .. سـ رمديه
ضفرتُ لشـ عري إكليـ لَأسِ
وتـ اج ضـ ياء
وحـ دقتُ في نجمـة القطـ بـ
كـ لـ ليـ الي الشـ قاء
أحـنُّ إلى مـ وطني الخالـد النـور
عـ بر السـ ماء،
إليك حنيني - شـيبي - لعالم ذاك النقاء. ﴿...﴾
ثـ ابـ بيضـ اء،
مـ مسـ ها الحقـ د
مـ ل ثيابـ ك
وروحـ ي حمامـة بـ رتـهم
تـ يم بغابـ ك..»

ولم تختَر شاعرتنا هذه المفردات اعتباطاً، فكلُّ منها رمزٌ ديني، ولكلُّ منها نصٌّ مقدسٌ في ديانتها - كما في التسييح الأول من كتاب آدم النبي: «باسم الحي العظيم .. مُسَبِّحُ رَبِّي بقلْبِ نَقِيٍّ. ﴿...﴾ مَلِكُ النُّورِ السَّامِي ﴿...﴾ رَبُّ أَكْوَانِ النُّورِ جَمِيعاً ﴿...﴾ السَّاكِنِ فِي الشَّمَالِ العُلُويِّ ﴿...﴾ لَمَعَاتُ تَاجِهِ تَنْطَلِقُ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ، وإِشْعَاعَاتُ نُورِهِ تَنْبَعُثُ مِنْ بَيْنِ أَوْرَاقِ إِكْلِيلِهِ مَلَأَ الأَكْوَانَ.» (كنزاً ربّاً اليمين ١، ٢٠١٠م: ١-٣) أما عن (الشبيه) الذي ذكرته الشاعرة المندائية فالصورة الشعرية مستوحاة من نص كتاب (دراسة اد يهيا) أي مواظ وتعاليم يحيى بن زكريا: «وحيثما ألتمس عفو الرب ورضاه، فسيرفعني إلى شبيهي ❖ في مساكن النور؛ أما الجسد الباطل الفاني سيّد البيت في الدنيا الزائلة.» (دراسة اد يهيا، ٢٠٠١م: ٤٣)

يحيى وعيسى بين الميثولوجيا والتاريخ؛ بصائر في الكتب المقدسة

يتضح من خلال التنقيب في الكتب الدينية المقدسة والمرويات الدينية المفسرة لتلك الكتب وبالقيااس مع النصوص التاريخية - من بحوث وحفريات - أننا لسنا أمام شخصيتين تاريخيتين هما يحيى وعيسى؛ فالبون شاسع بين يحيى بن زكريا القرآني، والآخر المعمدان الإنجيلي، والثالث المندائي. كما هو الحال بالنسبة لعيسى بن مريم القرآني، والآخر يسوع المصلوب الإنجيلي، والثالث الحواري المندائي. هذا لو تم القيااس بين الكتب الدينية ذاتها، وأخبار معتنقي هذه الديانات الثلاث. أما لو أردنا أن نقيس هذين الشخصيتين من منظور تاريخي، وآخر ميثولوجي والتزمنا بتأويل ما جاء عنهما في الكتب الدينية وسلطنا الضوء عليهما عبر المنهج النفسي والتاريخي، فالبون يكون أوسع. وتمت تسمية يحيى وعيسى في هذا البحث - نظراً لمكانتهما في الديانة المندائية، والمسيحية، والإسلامية - ب(عيسى بن مريم) وهو عيسى المسيح القرآني، و(عيسى المصلوب) وهو حسب ما ذكرته الأناجيل الأربعة، و(عيسى الحواري) على ما نقلته كُتب المندائيين المقدسة. كما أن هناك (يحيى قرآني)، ويحيى إنجيلي المسمى ب(يحيى المعمدان)، و(يحيى مندائي) - الذي تزوج، فأنجبت زوجته (أنهر) أربع بنات، وأربعة أولاد، ولم يُقتل - كما في الأناجيل، وبين المسلمين المروجين لقتله من ناشرين ومنشدين باللغتين العربية والفارسية.

عيسى في الكتب المقدسة والكتب التاريخية

ولو نظرنا إلى حياة السيد المسيح من منظور المسيحية الرسمية، لوجدنا الأناجيل الأربعة لم تُكتب على زمن حياة عيسى المصلوب، بل تم تدوين أربعتها المعروفة - وهي لوقا، ومَتَّى، ومَرْقُس، ويُوْحَنَّا - والمعتمد عليها من قِبَل الكنيسة الرسمية بعد صلب المسيح - على حدّ تعبير الأناجيل الأربعة ذاتها. لكن تتحدث المصادر التاريخية المعاصرة عن عيسى الإنجيلي بصفات غير معهودة في التراث الديني المسيحي، والمندائي، والإسلامي، وكثيراً ما يبحثون عن شخصية عيسى التاريخي وأسرته ونشأته وجذور رؤيته الدينية من جانب. وهناك كتب تبحث عن شخصية أسطورية - أو على أقلّ تقدير ميثولوجية - تمّ تضخيمها أو كانت قبل المسيح، فجعلها عيسى الإنجيلي قناعاً لشخصه ومشروعه وثورته الدينية، وقلّد منهجها فسمّى نفسه المسيح الموعود أو كي يعتبره أهل عصره ومصره المسيح الموعود - من جانب آخر. وتتنجّ أصابع الاتهام نحو الأناجيل الأربعة وما فيها من اختلافات حول عيسى المصلوب، إذ «لم تُكتب هذه الأناجيل الأربعة بقلم من ينسب النص إليه - إلّا إنجيل لوقا. وهذا الرأي يصحّ إطلاقه حول كافة نصوص العهد الجديد. وانتساب النشر باسم من لم يكن النص له، أمر ضارب في القدم معهود، ولا يدلّ علي كون النصّ مجعولاً. ...» ولا يجوز أن نعتبر الأناجيل وثائق تاريخية لحياة عيسى ولم يكن هذا هدف الأناجيل أنفسها. لكنّها ليست سيرة ذاتية لحياة عيسى كتبها أقلام تعرف شخصه وشخصيته ...» وبعبارة أخرى: إنّ الأناجيل تُعرف لنا عيسى (المسيح)، وليس عيسى بمثابة إنسان واقعي.» (أصلان، ١٣٩٤هـ.ش: ٢٢)

ويتمد هذا النقد ليشمل عروج عيسى نحو السماء، واستقراره هناك - كما في الدراسات التي تعتبر الأديان هي الأساطير المحرّفة، فتقوم بتأويل النصوص الدينية بدل نبذها. ف«نحن نعلم أنّ المسيح لم يصعد إلى الجنة، لأنّه لا يوجد جنة حقيقية في أيّ مكان من الكون. ...» لكن إذا قرأت: (المسيح صعد إلى الجنة) بلغة المعني المجازي، عندئذ ستري أنّه ذهب إلى الداخل. ليس إلى الفضاء الخارجي ولكن إلى الفضاء الداخلي. إلى المكان الذي تأتي منه الكائنات كلّها، إلى الوجدان الذي هو مصدر الأشياء كلّها؛ إلى ملكوت السماء فينا. إذن الرموز في الخارج، غير أنّ انعكاساتها في الداخل.»

(كامبل، ١٩٩٩م: ٨٩) فلم تلاحظ هذه الكتب - وما أكثرها - الجانب الميتافيزيقي في الكتب الدينية التي تطرقت إلى حياة عيسى النبي وغيره من الأنبياء. أما الأناجيل الغنوصية التي وجدت عام ١٩٤٥ من ميلاد السيد المسيح في مصر العليا بالقرب من (نجع حمادي) - ومنها إنجيل توما، وإنجيل يعقوب البار - التي لم يُعترف بهما كنسياً، تصور لنا عيسى بصفته بشراً، لا يود أن يعتبروه سيّداً وقائداً لحوارييه «فالأنجيل الغنوصية - خلافاً للأنجيل الرسمية - لم تعتبر عيسى شخصاً أعلى مكانة من الحواريين، ولا ملكاً عليهم.» (بيكلز، ١٣٩٤ هـ.ش: ١٧٧)

عيسى الكلمة بين الإنجيل والقرآن

ولعيسى الإنجيلي عدة أسماء، منها ما ورد في آخر الأناجيل الرسمية المكتوبة أي إنجيل يوحنا، ففيه «سنة ألقاب للسيد المسيح: أ. الكلمة ﴿...﴾ وقد حلّ محلّها لقب (الابن) ﴿...﴾ ب. الميسا ﴿...﴾ ج. حمل الله ﴿...﴾ د. ابن الله ﴿...﴾ هـ. ملك إسرائيل ﴿...﴾ و. ابن الإنسان.» (الملوحي وآخرون، ٢٠٠٤م: ١٩٤) وقد عبر يوحنا عن عيسى المسيح بالكلمة / اللوغوس، فقد «جاء في الإنجيل الرابع عن اللوغوس (Logos) الإلهية أو الكلمة أو الحكمة الإلهية - التي أنشأت العالم برمته - جاء بأن الكلمة صارت جسماً.» (رابرتسون، ١٣٨٧ هـ.ش: ٢٦) وما يعادل اللوغوس هو (الكلمة) التي أطلقها القرآن على عيسى أيضاً: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران ٣: ٤٥) و﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (النساء ٤: ١٧١)

وذكر المفسرون في قوله (بكلمة منه اسمه المسيح) عدة آراء، منها: «قال أبو منصور: سمى الله ابتداء أمره كلمة؛ لأنه ألقى إليها الكلمة ثم كون الكلمة بشراً، ومعنى الكلمة معنى الولد، والمعنى: يشرك بولد اسمه المسيح عيسى عبد الله.» (ابن منظور، «كلام») وقد أخذ هذا القول بعبودية المسيح لله، من القرآن نفسه: «لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ.» (النساء ٤: قسم من الآية ١٧٢).

عيسى ومريم في الكتب المقدسة

يؤكد القرآن بشكل مباشر علي أن عيسى لم يكن استثناءً: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران ٣: ٥٩)، وقد تكون في

الآية إشارة إلى أنه بشر لم يولد من أبوين، بل إنما هو (عيسى بن مريم): ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانٍ أَلْطَعَامٌ﴾ (المائدة ٥: قسم من الآية ٧٥)، و(مريم بنت عمران) هو اسم المرأة الوحيد الذي دخل القرآن أربع وثلاثون مرة، وإن كانت هناك إشارات - دون أسماء - إلي نساء أخرى كامرأة أبي لهب، وامرأة لوط، وامرأة فرعون، وأم موسى. والطريف أنه لم يظهر في إنجيل يوحنا اسم مريم - بصفتها أم عيسى، وإن كانت هناك «ثلاث نساء لهن هذا الاسم: ١. مريم أخت لعازر ومرتا، من بيت عنيا»... ٢. مريم المجدلية، امرأة من مجدلة في الجليل، أول شخص ظهر له عيسى المسيح بعد قيامته»... ٣. مريم زوجة قلوبا»... ويبدو أن إنجيل يوحنا لا يشير إلي مريم أم عيسى المسيح باسمها.» (الملوحي وآخرون. ٢٠٠٤م: ١٦٥)

وعلى أي حال فالكُتب المخالفة لما سلكه عيسى أمست تطعن به وبأمه التي تُعرف في الأوساط الإسلامية بسيّدة نساء العالمين - في زمانها. فنجد التجديف علي عيسى / يسوع في الفكر اليهودي ولا سيما أمه مريم: ف«عندما أخذت الحركة المسيحية الناشئة تنتشر بين صفوف اليهود، سواء داخل فلسطين أم في المغتربات اليهودية بآسيا الصغرى ومصر واليونان وإيطاليا، لم يعتمد الفكر اليهودي إلي مواجهتها بالجدل اللاهوتي والفلسفي، وإنما بإطلاق الشائعات التي تتهم السيدة مريم بالزني وتصف ابنها بأنه ساحر مشعوذ. فمنذ القرن الثاني الميلادي عرض لنا الكاتب سيلسوس - الخصم اللدود للمسيحية - في كتابه (الكلمة الصادقة) وجهة نظر اليهودية عن يسوع وأمه مريم»...: كان يسوع ابناً لامرأة غزالة فقيرة تدعي مريم، وهي زوجة لرجل يعمل في مهنة النجارة. ولكنها لم تُنجب بكرها يسوع منه وإنما من جندي روماني فار من الخدمة يدعي بانتر. وعندما كبر يسوع، سافر إلي مصر حيث اشتغل عاملاً مياوماً وتعلّم هناك فنون السحر، وعندما عاد إلي فلسطين أعلن نفسه إلهاً.» (السواح، ٢٠١٢م: ٨٠) ولم يأت الحديث عن وجود أب لعيسى اعتباطاً، فهذا ما نجده في الأناجيل ذاتها: «فإن متي ولوقا - خلافاً لمرقس - يأتیان بشجرة نسب عيسى. وقد كتبا تقريراً عن ولادته وطفولته. فكل منهما يوصل نسب عيسى عن طريق والده يوسف النجار إلى داود النبي» - وإن كانت الأسماء المذكورة

في سلسلة النسب بين يوسف وداود مختلفة. ﴿...﴾ أما لوقا فقد ذكر ولادة عيسى من باكر أيضاً، ولكنه في إنجيله، يذكر مراراً بأن يوسف اسم أبيه، ويعبر عن يوسف ومريم بـ(والديه).» (رابرتسون، ١٣٨٧هـ.ش: ٢٥)

بل تذكر بعض الأناجيل لعيسى إخوة وأخوات في سلسلة نسبه إلى داود: «ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح.» (إنجيل متى: الإصحاح الأول) بل نجد اسم أبيه وأمه وأسماء عائلته المذكورين في النص أدناه - كما كان يعرفه أناس عصره ومصره: «وكثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين: من أين لهذا هذه؟ وما هذه الحكمة التي أعطيت له حتى تجري على يديه قوات مثل هذه؟ ❖ أليس هذا هو النجار ابن مريم، وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته ههنا عندنا؟» (إنجيل مرقس: الإصحاح السادس)

أما الكتب المندائية المقدسة المترجمة إلى العربية فقد اعترفت بكون عيسى هو ابن مريم، ولم تذكر له أباً: فقد جاء في النص السابع والعشرين المعنون بـ(تعميد السيد المسيح): «باسم الحي العظيم .. يحيى يعظ ويرشد في الأماسي، يقول: أشرق النور على العوالم. من خاطب عيسى؟ من حدث عيسى بن مريم؟» (دراسة إد يهيا، ٢٠٠١م: ٨٠)

ويحتل عيسى بن مريم وأمه ويحيى الذي عند أكثر غير المندائيين هو ابن خالته، مكانة مرموقة ورمزية في الأدب الفارسي، فقد «أشار المتصوفة والعرفاء من ناثرين وشعراء مراراً وتكراراً إلى ابتسامة عيسى. وقد قاس الملأ الرومي يحيى المعمدان بـابن خالته عيسى بن مريم، إذ كان يحيى يخاف الله ويخشاه دائماً: (ابن ز اعتماد خندان وز خوف آن معبس).» (شيمل، ١٣٨٧ هـ.ش: ٥١) فهذا / عيسى مبتسم فرح بسبب ثقته بالله وأمله وطمعه فيه، وذاك / يحيى عابس بسبب خوفه وخشيته من الله.

بصيرة في زواج السيد المسيح وكتابه

ولعيسى النبي كتاب أسماه القرآن (الإنجيل) - وليست عدة أناجيل - فيه أحكام - خلافاً للأناجيل الأربعة التي لم تذكر سوى سيرة عيسى الذاتية، ولم يرد فيها حكم بشكل مباشر - كما ورد في القرآن من بعد والتوراة من قبل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَإِنِّي أَنزَلْتُهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ

وَهَذَى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٤﴾ (المائدة ٥: ٦٤). ويعتقد المسلمون بأن الرسالات السماوية واحدة، والشرائع مختلفة، ويؤكد القرآن على المبدأ القائل بأن لعيسى بن مريم شريعة، فقد اعتبره القرآن من أولى العزم: ﴿وَلَا جُنْدَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران ٣: قسم من الآية ٥٠) وقد تعلم عيسى بن مريم أحكام التوراة والإنجيل، ولم يتحدث مع الناس دون دستور إلهي - كما عليه الباحثون الجدد، حيث قالوا بأن كل ما تعلمه المسيح الأمي إنما جاء جراء لقاءه مع يحيى في يوم واحد. أما القرآن فقد نصّ علي مفردة (علم): ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (المائدة ٥: قسم من الآية ١١٠) وكان معرفة عيسى بن مريم بالتوراة تمهيد لإعطائه كتاباً آخر للهداية هو الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ (الحديد ٥٧: قسم من الآية ٢٧)

ولم يتطرق القرآن إلي زواج عيسى وعدم زواجه. وحسب التصور المسيحي ومن خلال الأناجيل ذاتها «لم يكن معظم حواربي يسوع الاثنا عشر متزوجين. ولا يوجد لدينا في الأناجيل الأربعة دليل إلّا علي زواج بطرس، أما البقية فوضعهم العائلي مجهول.» (السواح، ٢٠١٢م: ٨٩ - ٩٠)

عيسى والحواريون

أطلق القرآن علي من ساعد عيسى المسيح في مسيرته النبوية (الحواريين) وهم (الأنصار). ويبدو لهذه المفردة الأخيرة، علاقة بمفردات أخرى كالناصريين - وهو رجل الدين في الكتب المندائية، والنصاري، والناصري، والناصر - نسبة إلي مسقط رأس المسيح الإنجيلي في التراث المسيحي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ (الصف ٦١: قسم من الآية ١٤) لكن لم يعرف عيسى من قبل معاصريه من بني إسرائيل حق المعرفة ولم يعترف به سوي الحواريين، فواجه عيسى من جابهه - حسب النص القرآني: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ (المائدة ٥: ٧٨) بل لم يعرفوا أهل عصر عيسى مصيره - بعدما أرادوا أن يقتلوه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء ٤: قسم من الآية ١٥٧)

ويعتبر عيسى بن مريم نبياً اهتم به القرآن كثيراً، فقد دخل اسمه خمس وعشرون مرة في القرآن، أما لقبه (المسيح) فقد ذكر ثلاث عشرة مرة، وجاء ذكره إلي جانب أنبياء بني إسرائيل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة ٢: قسم من الآية ٢٥٣)

يفرق الباحث فراس السواح بين مفهومي التناص والتشابه، ويرى بأن «الجدل الذي عقده القرآن كان مع اللاهوت المسيحي وليس مع نصوص الإنجيل، أما التناص فقد أظهر أن الهوة بين الكتابين المقدسين «القرآن والإنجيل» ليست بالاتساع الذي يظنه البعض. وهذا التناص لا يقتصر على الأناجيل الأربعة وإنما يتعداها إلى التناص مع عدد من الأناجيل غير الرسمية والمدعوة بالمنحولة، لأن الكنيسة لم تقبلها في عداد الكتاب القانوني. وقد كانت هذه الأناجيل متداولة على نطاق واسع في العالم المسيحي ولدى مسيحي الجزيرة العربية.» (السواح، ٢٠١٦م: ١٣٧)

عيسى ميثولوجيا

ولو أردنا أن ننظر إلي عيسى الإنجيلي بعيون المسيحيين الذين قاموا بتحليل رمزي لنصوص الأناجيل، فقد يعتبر رابرتسون «عيسى المصلوب الذي يخرج مرة أخرى كل سنة كي يقتل ويحيى ثانية حاله كحال ما نجد عليه الآلهات الأخرى في الميثولوجيات، وبوسعنا أن نقول فيها جميعاً بأن كلّها تموت في سبيل الناس بشكلٍ من الأشكال، فيمسي لحمهم «خبزاً» للأكل، ودمهم «خمراً» للشرب.» (رابرتسون، ١٣٨٧ هـ.ش: ٧٨) وأراد الباحث من هذه الآلهات أوزيريس، وتموز، وديونيسوس.

وتتفق الأناجيل علي أن يوحنا المعمدان هو الذي قام بتعميد المسيح / عيسى المصلوب «وعبر الأردن مرة أخرى، فذهب إلي حيث عمّد يوحنا (يحيى بن زكريا) في

أول الأمر، فأقام هناك (٤١) فأقبل إليه خلقٌ كثير وقالوا: إنَّ يوحنا (يحيى بن زكريا) لم يأتَ بآية، ولكنَّ كلَّ ما قاله في هذا الرجل كان حقاً (٤٢) فأمن به هنالك خلق كثير (٤٣)». (الملوحي وآخرون، ٢٠٠٤م: ٣٣٥ - ٣٣٦) وهذا اللقاء والاصطباغ ما تقره الكتب المندائية أيضاً - إذ قال عيسى بن مريم ليحيى بن زكريا: «يا يحيى اصبغني بصباغتك، وانطق الاسم الذي تذكره عليّ، وسأذكر صنعك هذا في وثيقة، وإن لم أتلمذ، الغ اسمي من سجلِّك. قال له يحيى: كيف أصبغك وقد هزأت بكهنة اليهود وأخزيتهم، وقد قطعت النسل والحمل ❖ وأنت صحيفة في سجلِّ موسى نُشرت في أورشليم؟ قال عيسى: لم أهزأ بالرجال الكهنة، وإلا سأموت مرتين ﴿...﴾ فأنت مسؤول عن خطاياك وأنا مسؤول عن خطاياي.» (دراسة إديها، ٢٠٠١م: ٨٠ - ٨٣)

لم تتحدث الأناجيل عمّا دار بين يحيى المعمدان وعيسى المصلوب، لكن الحوار موجود في كتاب تعاليم يحيى. وعلى أيّ حال، فقد أثر هذا اللقاء الذي لم يستغرق سوى يوم واحد - حسب الأناجيل - أثراً تاماً. وقد جرى الحوار في ذلك اليوم الذي بحث عيسى الإنجيلي عن يحيى المعمدان، فوجده حيث «كان يحيى قد دخل في عزلة في ساحل الأردن، وكان يقول بأن ملكوت الله قريب ويوم الجزاء قريب، وسوف يأتي غضب الرب، فعليكم بالتوبة والتعميد وطلب الغفران، فكان ليحيى بالغ الأثر علي شخصية عيسى. ذهب عيسى نحوه وقام يحيى المعمدان بتعميده. ومن هناك ذهب عيسى إلي البادية، وفي طريق العودة دخل الكنائس وتحدّث مع الناس - حيث أسموه (ربي).» (ياسبرس، ١٣٨٨هـ.ش: ١٣٢)

عيسى في الكتب المندائية

لم تكن مكانة عيسى النبي محمودة عند المندائية والمندائيين، كما يستنتج من نصوص كتاب تعاليم يحيى، وإن كان عيسى «بالنسبة للآهوتين الصابئين (ناصرائي) أيضاً، إلّا أنه خرج علي الدين وقاد الناس إلي دين آخر وباح بالعقائد الباطنية وجعل الدين أكثر سراً (أي أنه سخر بالصعب وأنشأ قواعد جديدة حول التطهير). والإشارات (يشومشييه) هي في الحقيقة عبارات جدالية تشير بالدرجة الأولى إلي أعمال المسيحية البيزنطية التي أثارت الرعب في قلوب الصابئين (المندائيين) باتخاذها الماء (غير الجاري) للتعيميد، وبغزوبة الرهبان والراهبات.» (دراوور، ٢٠٠٦م: ٣٣)

وذكرت الكتب المندائية عدم زواج عيسى الذي اعتبرته حوارى يحيى، بقول هذا الأخير لعيسى: «كيف أصبغك وقد هزأت بكهنة اليهود وأخزيتهم، وقد قطعت النسل والحمل.» (دراشة إديها، ٢٠١١م: ٨٠) وعدم الزواج مما يأخذه المندائيون على عيسى الذي يعتبرونه محرّفاً لديانتهم، منها أن أتباعه من الرجال والنساء أمسوا من الرهبان الذين تركوا الزواج. بل كما ذكر إنجيل مرقس لم يكثرث عيسى لشريعة يحيى في الصوم وغير أيام الصيام: «وَكَانَ تَلَامِيذُ يُوْحَنَّا وَالْفَرِيسِيِّينَ يَصُومُونَ، فَجَاءُوا وَقَالُوا لَهُ: لِمَاذَا يَصُومُ تَلَامِيذُ يُوْحَنَّا وَالْفَرِيسِيِّينَ، وَأَمَّا تَلَامِيذُكَ فَلَا يَصُومُونَ؟» ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا. ❖ وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ.» (إنجيل مرقس: الإصحاح الثاني)

وتعترف الكتب المسيحية المقدسة الرسمية بوجود أتباع ليحيى المعمدان: «كان لسيدنا يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) تلاميذ يتبعونه. وقد أقنعهم باتّباع سيدنا عيسى المسيح، كما حدث مع أندراس أخى سمعان بطرس (١: ٣٥ - ٤٠).» (الملوحي وآخرون، ٢٠٠٤م: ٦٢)

يحيى وأسرته في الكتب المقدسة والكتب التاريخية

ورد اسم النبي يحيى بن زكريا في القرآن خمس مرات في سورة آل عمران، وسورة الأنعام، وسورة مريم، وسورة الأنبياء. وقد ذكر إلي جانب أنبياء بني إسرائيل: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (الأنعام ٦: ٨٥)

ومدح القرآن يحيى ووالده زكريا: ﴿ فَادْعُهُ أَلْمَلِكَةَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران ٣: ٣٩). أما في سورة مريم - أم عيسى - فقد جاء اسم يحيى مرتين - وقد يكون أحد الأسباب التي تعتبر أم يحيى وأم عيسى قريبتين هو كون الكلام عن حياة يحيى ذكر في سورة مريم - في معرض الحديث عن عيسى: ﴿ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ (مريم ١٩: ٧) و: ﴿ يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (مريم

١٩: ١٢) وبما أن القرآن نسب له كتاباً، قال المندائيون بأن الكتاب الذي بين أيديهم أي (دراسة إديها) ويعني تعاليم يحيى، هو كتابه وإن «لم توجد أي علاقة بين الآيات التي وردت حول يحيى والتي ذكرت الصابئين في القرآن» (فروزنده، ١٣٧٧هـ.ش: ٢١) وقال بعض المفسرين للقرآن بأن المراد من (خذ الكتاب) أي التوراة - فلا كتاب ليحيى من هذا المنظور.

ولم يهتد الباحث لحكمة التسمية بيحيى ولهذا المعنى (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا)، فلم يأت القرآن بدليل لهذه التسمية. وهذه بعض الآراء الإسلامية، والتي قد تكون متضاربة أحياناً: ففي «قوله عز وجل: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ. قَالَ قَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ: لَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ قَبْلَهُ يَحْيَى. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَعَطَاءُ: لَمْ نَجْعَلْ لَهُ شَبْهًا وَمَثَلًا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا أَيْ مَثَلًا. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلٌ، لَأَنَّهُ لَمْ يَعْصَ وَلَمْ يَهَمْ بِمَعْصِيَةِ قُطِّ. وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلٌ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ؛ لَأَنَّهُ كَانَ سَيِّدًا وَحْصُورًا. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَيْ لَمْ تَلِدِ الْعَوَاقِرُ مِثْلَهُ وَلَدًا. وَقِيلَ: لَمْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ اجْتِمَاعَ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا لِيَحْيَى، إِنَّمَا أَرَادَ بَعْضُهَا، لِأَنَّ الْخَلِيلَ وَالْكَلِيمَ كَانَا قَبْلَهُ، وَهُمَا أَفْضَلُ مِنْهُ.»

(library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php)

وتتفق الكتب الدينية أن زكرياً اسم والد يحيى - وإن كانت هذه الأبوة والبنوة معنوية روحية (شبيهة بالتبني) غير مادية لدى المندائيين، ولأَمْ يحيى عدة أسماء في الأديان الإبراهيمية، ولكن لم يذكر اسمها القرآن: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ (الأنبياء ٩٠: ٢١)

واسم أم يحيى - كما ورد في الأناجيل في ترجمتها العربية - أَلِصَابَات: «كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَأَمْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَأَسْمُهَا أَلِصَابَاتُ. ❖ وَكَانَا كِلَاهُمَا بَارَيْنِ أَمَامَ اللَّهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ ❖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتِ أَلِصَابَاتُ عَاقِرًا. وَكَانَا كِلَاهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا.» (انجيل لوقا: الأصحاح الأول) وهي (أشيع) عند كثير من

المفسرين المسلمين، وهي (إيشيا) عند البعض الآخر منهم، وتبحث المستشرق شيمل عن مكانة عيسى وأمه مريم في العرفان الإسلامي، فتذكر حمل أم يحيى: «إن حمل مريم استغرق ستة أشهر؛ كالتربية منها نسباً (أشباع) زوجة زكريا الكهل الذي وهن منه العظم، لكنه رزق بولد يدعى يحيى، وذلك بسبب تضرعه إلى الله.» (شيمل، ١٣٨٧هـ.ش: ١٢)

أما اسم أم يحيى في الكتب المندائية، فمختلف تماماً عن المعهود في التاريخ والكتب الإسلامية والمسيحية، وفيه إشارة إلى طلب أمه أن يتم اختيار اسم ولدها كما هي اختارته - لا من قبل الكهّان. وفي كتاب (دراشة إديها) نجد يحيى النبي يذكر الناس بكيفية ولادته في قسم (الولادة المعجزة)، وذلك ضمن وعظه لهم وهو يؤكد علي أثر الماء كرمز أساس لحياته، بل لكل حياة: «أبي أصبح في التاسعة والتسعين، وأمي في الثامنة والثمانين. من حوض يردنا أحضروني .. رفعوني، وألقوا بي في رحم انشبي .. مكثت تسعة شهور في الرحم - مثلما تمكث الأجنة ...» لقد ولدني انشبي في أورشليم .. قرية الكهنة التي يقيم فيها الزيار الكاهن الكبير ... «وقالت انشبي لزوجها زكريا: اطلب من الذين منحوه الحياة أن يسموه (يهيا يهانا). غضب اليهود لما سمعوا ذلك .. امتلأت قلوبهم حقداً .. سمع الملاك أنش أثرا، فاصطحبني، وصعد بي حتي وصل ذري جبل براون الأبيض، حيث يربي الأطفال هناك وعلي الماء المبارك يعيشون، ولما بلغت اثنين وعشرين عاماً، أتقنت كل الأحاديث، وتعلّمت الحكمة.» (دراشة إد يهيا، ٢٠٠١م: ٨٩ - ٩١) فنطفة يحيى شبيهة بنطفة عيسى.

ومن نافل الذكر بأن هناك من يعتقد - ومنهم اشبنغر المستشرق «بأن اسم يحيى قد أخذ من نفس الصابئين؛ لأنه موجود في كتبهم المندائية ...» والطريف أنه يري أصل مفردة يحيى كانت (يحنى) «...» لأن الخط العربي كان يفقد التنقيط والحركات، فكان بوسعهم أن يقرؤوا يحيى علي شكلين هما: يحيى و يحنى «يوحنا» (جفري، ١٣٧٢هـ.ش: ٤١٥ - ٤١٦)

وقد صور الملا الرومي في ديوانه (المثنوي المعنوي) أيام حمل مريم - أم عيسى - وحمل أم يحيى بولديهما، وعنون الفصل بـ (سجود يحيى للمسيح عليه السلام وكل في بطن أمه):

«- قالت أم يحيى لمريم عليها السلام خفية قبل أن تضع حملها:
إنني على يقين من أن في بطنك ملكاً، من أولي العزم، ورسول واع
- ذلك أنني عندما واجهتك، سجدت حملي (له) يا ذات الفطن. ❖...❖
- لقد سجد هذا الجنين لذاك الجنين، بحيث أحس جسدي بالألم من سجوده.
- قالت مريم: وأنا أيضاً رأيت في باطني سجدة من هذا الجنين الموجود في البطن.»

(الرومي، ١٤١٨هـ، ج ٢: ٢٩٨ - ٢٩٩)

فالرومي تأسيساً بالقرآن لم يذكر اسم أم يحيى، لكنه اقتبس هذا اللقاء - بشكل مباشر
أو غير مباشر - من الإنجيل: «فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال
إلى مدينة يهوذا، ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات. ❖ فلما سمعت
أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها، وامتلات أليصابات من الروح القدس،
❖ وصرخت بصوت عظيم وقالت: مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك! ❖
فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي؟ ❖ فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني
ارتكض الجنين بابتهاج في بطني.» (إنجيل لوقا: الإصحاح الأول)

ويكبر يحيى عيسى بستة أشهر - لا أكثر - كما عليه عمدة الكتب المسيحية
والإسلامية، لكن لا تقبل الكتب المندائية هذا الرأي، بل كما كتب بعضهم: «وُلد يحيى
٤٢ عاماً قبل السيد المسيح، ومات في ٢٢ من الميلاد.» (خميسي، ١٣٩٤هـ.ش: ٩٦) لكن
يبقى السؤال: لماذا نجد السنة المندائية في تقويمها الراهن أكثر من السنة الميلادية بستة
أشهر - لا أكثر؟! - فهل نحن أمام يحيى آخر يختلف عن يحيى القرآني ويحيى الإنجيلي؟

ويأتي ذكر يحيى في السطور الأولى من إنجيل يوحنا كنبي، وبالتأكيد على كونه ليس
الأفضل من معاصره يسوع: «كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ اسْمُهُ يوحنا. ❖ هذا جاء
لِلشَّهَادَةِ لِشَهِدَ لِلنُّورِ، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. ❖ لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورُ، بَلْ لِيَشْهَدَ
لِلنُّورِ.» (إنجيل يوحنا: الإصحاح الأول)

زهد يحيى النبي وعدم زواجه عند المسلمين

يعتبر العارف والمفسر رشيد الدين أبو الفضل الميمني في الكتاب المنسوب له (كشف
الأسرار وعدة الأبرار) يحيى نبياً من الزهاد والنسك، مشغولاً بالعبادة تاركاً للشهوات -

وكأنما يمهّد ليكون المراد من (سيداً وحصوراً) من لم يقدم إلى الزواج: «وكما ذكر ابن عباس: إن الله - تعالى - أعطى محمداً ﴿أ﴾ خلق آدم، ومعرفة شيث، وشجاعة نوح ﴿...﴾ وفصاحة صالح، وزهد يحيى، وعصمة عيسى.» (ميدي، ١٣٧٦هـ.ش: ١٥٨)

وقد استندوا بقوله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَصَدَقَةٍ مُصَدِّقًا لِمَقْدَمِ رَبِّكَ وَإِنَّكَ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ (آل عمران ٣: ٣٩) فقال ابن أبي حاتم: «حدثنا أبي، حدثنا عيسى، حدثنا حماد زغبة ومحمد بن سلمة المرادي، قالوا حدثنا ﴿...﴾ عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل ابن آدم يلقي ربه بذنب قد يعذبه عليه، إن شاء أو يرحمه، إلّا يحيى بن زكريا، فإنه كان (سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين)، ثم هوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: كان ذكره مثل هذه القذاة.» (www.islamweb.net)

ولو كان ينصرف الذهن من كلام رسول الله أن سبب عدم معاينة يحيى من قبل الله هو كونه عديم الشهوة، فقد جاء تعليلان آخران في الآية نفسها هما كان (سيداً) وكان (نبياً من الصالحين). لكن - عند البعض - قد يكون المقصود من يحيى الحصور أنه لا يتقرب من النساء، بل معناه - كما قال إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي في تفسيره: «إنه معصوم من الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهم وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا ﴿...﴾ حيث قال: (هب لي من لدنك ذرية طيبة) ﴿آل عمران ٣: ٣٨﴾ قسم من الآية ٣٨ ﴿كأنه قال: ولداً له ذرية ونسل وعقب.﴾» (library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php)

وذكر السيوطي في الدر المنثور: «أخرج الطستي في (مسائله) عن ابن عباس، أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله: (حصوراً). قال: الذي لا يأتي النساء. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟. قال: نعم! أما سمعت قول الشاعر:

وحصور عن الخنا يأمر الـ ناس بفعل الخيرات والتشمير»

(السيوطي، ١٤٢٤هـ: ٥٣٤)

يحيى النبي مقتولاً في الأنجيل والروايات الإسلامية

تذكر الأنجيل كيفية موت يحيى، «هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه، إذ كان قد تزوج بها. ❖ لأن يوحنا كان يقول لهيرودس: لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك. ❖ فحنقت هيروديا عليه، وأرادت أن تقتله ولم تقدر، ❖ لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالماً أنه رجل بار وقديس، ... وإذ كان يوم موافق، لما صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل، ❖ دخلت ابنة هيروديا ورقصت، فسرت هيرودس والمتكئين معه. فقال الملك للصبيّة: مهما أردت اطلبي مني فأعطيك. ❖ وأقسم لها أن مهما طلبت مني لأعطينك حتى نصف مملكتي. ❖ فخرجت وقالت لأُمها: ماذا أطلب؟ فقالت: رأس يوحنا المعمدان. ❖ فدخلت للوقت بسرعة إلى الملك وطلبت قائلة: أريد أن تعطيني حالا رأس يوحنا المعمدان على طبق. ❖ فحزن الملك جداً. ولأجل الأقسام والمتكئين لم يرد أن يردها. ❖ فللوقت أرسل الملك سيافاً وأمر أن يؤتى برأسه. ❖ فمضى وقطع رأسه في السجن. وأتى برأسه على طبق وأعطاه للصبيّة، والصبيّة أعطته لأُمها. ❖ ولما سمع تلاميذه، جاءوا ورفعوا جثته ووضعوها في قبر.» (إنجيل مرقس: الإصحاح السادس)

وأتبع هذه الرواية الإنجيلية أكثر المسلمين - من مفسرين ومؤرخين وأدباء - ونسبوا بعض الروايات للنبي وأهل بيته، وهي روايات تتخلل سلسلة سندها بعض صحابته وأصحابهم. لكن النص القرآني لم يتحدث عن هذا الجانب، فبدل الإشارة إلى قتل يحيى واستشهاده أو وفاته حتف أنفه جاء بمفردة أوسع نطاقاً في المعنى - وهي مفردة الموت: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم ١٩: ١٥) لكن الشارع الإسلامي - ولا سيما الشعراء من عرب وفرس وغيرهم من المسلمين - لم تعجبهم هذه الصورة القرآنية، ولذا استخدموا صورة أكثر مأساوية وهي مستوحاة من موت يحيى المعمدان التراجيدي، وساعد الأدباء من المسلمين رأي المحدثين والروايات التاريخية من أهل الخبر - مما تحتاج لتقييم وتحقيق وتدقيق دقيق من قبل علم الرجال.

فقد جاء في مناقب آل أبي طالب، وبحار الأنوار نقلاً عن علي بن الحسين السّجاد، بما أن يد اليهود تلطّخت بدم يحيى النبي «سلّط الله عليهم بُختَ نصرَ فجعل يرمي عليهم بالمناجيق» (ابن شهر آشوب المازندراني، ج ٤، ١٣٧٩هـ: ٨٥؛ المجلسي، ج ٤٥، ١٤٠٣هـ: ٢٢٩) لكن بُختَ نصرَ / نبوخذ نصرَ - حسب التاريخ والآثار المعتمد عليها - عندما أخذ بزمّام الحكم وصار ملكاً، والذي كتب عنه التاريخ الإسلامي بأنّه «قتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريا، وخرب بيت المقدس وتفرقت اليهود في البلدان». (الصدوق، ١٣٩٥هـ؛ الجزائري، ١٤٠٤هـ: ٤٧٤) قد ولدَ بستمائة سنة - تقريباً - قبل عام ميلاد عيسى المصلوب، ويحيى المعمدان الذي يستدلّ حول هذا الأخير «من لوقا (١: ٢٦) أن ولادته كانت قبل ولادة المسيح بستة أشهر. وقد عيّنت الكنيسة يوم ميلاده ٢٤ حزيران (يونيو)، أي عندما يأخذ النهار في الزيادة استناداً إلى قوله: ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنقص. (يو ٣: ٣٠)» (قاموس الكتاب المقدس، د.ت: ٨٢٩ - ٨٣٠).

ولم يقف الحدّ عند هذه المرويات الإسلامية، ونحن نعلم - كما يقول الفقهاء بحق - أنّها قطعية الدلالة، ظنية السند، فهنا المؤرخون المسلمون أيضاً استندوا بما تسمّى بالإسرائيليات - وهي قد تكون دخلت من أديان أخرى غير إسرائيلية كالزرادشتية والمناوية. فقد كتب أبو الفداء نقلاً عن ابن حوقل: «وفي دمشق مسجد لم يُبن مثله في الكلفة المادية والجمال؛ فإنّ حيطانه والقبة الواقعة فوق المحراب من بناء الصابئين. فالمسجد قبل يومنا هذا كان محلاً لصلاتهم - وذلك بعدما سيطرت عليه اليهود وعبدت الأصنام. فعندما قُتل يحيى عليه السلام في تلك الأيام، وضعوا رأسه على باب من أبواب ذلك المسجد، وكان يُعرف بباب (جيرون). أمّا بعد سيطرة النصارى، بالغوا في تعظيم الباب. وفي العهد الإسلامي صار المسجد تحت إشراف المسلمين، فوضعوا رأس الحسين بن علي - رضي الله عنهما - على نفس باب جيرون الذي كانوا قد وضعوا عليه رأس يحيى». (أبو الفداء، ١٣٤٩هـ.ش: ٢٤٨ - ٢٤٩) ومن هنا جاء قول الشعراء في قصائدهم بوجود وجوه اشتراك بين الحسين بن علي، ويحيى بن زكريا، فقال بعضهم أنّهما ولدا وقد حملت بهما والدتهما ستة أشهر - لا تسعة كما عليه الأجنّة.

وفي القرآن لا يوجد خبر اعتقال يحيى ولا نبأ استشهادهِ ووضع رأسه في طبقٍ أو طستٍ من ذهب، ولا علاقة بما يُنقلُ تاريخياً مما طرب له المؤرخون، ووجد فيه الشعراء مادة دسمة لخيالهم وأشعارهم، وبين ما ذكره القرآن.

وجاء في الكتب المندائية بأن يحيى النبي توفي وهو في الرابعة والستين من عمره. وقد كتب الباحثون ما يوحي بأن المعمدان لم يكن على زمن الحاكم الذي تتهمه الأناجيل بقتله: «إن الترجمة الروسية القديمة «لإنجيل» - خلافاً للوقا - لا تعتبر ولادة يحيى المعمدان في السنة الخامسة عشرة من سلطة طيباروس (٢٨ - ٢٩)، بل تنص على ولادته بعد موت هيرود الكبير؛ أي في السنة الرابعة قبل ميلاد المسيح.» (رابرتسون، ١٣٨٧هـ.ش: ١٣٧)

فكُتِبَ الأثر لا تتطابق في قضية موت يحيى / قتله بقطع رأسه / شنقه وإعدامه مع كُتِبَ الخبر ومع بعض فقرات من الأناجيل «ولدينا خبر تاريخي واحد عن يوحنا المعمدان يتقاطع مع الأخبار الإنجيلية أورده المؤرخ اليهودي يوسفوس في كتابه (عاديات اليهود) الذي وضعه في روما نحو عام ٩٣ للميلاد، فقال: إن يوحنا الملقب بالمعمدان كان رجلاً باراً بأمر اليهود بالمعاملة الطيبة تجاه بعضهم بعضاً وبتقوي الله. ولأن الجميع كانوا يتقاطرون إليه ويسمعون كلماته خاف هيرود من تأثيره علي الناس ومن فتنة محتمة، فقبض عليه وسجنه في قلعة مخايروس ثم أمر بإعدامه.» (السواح، ٢٠١٢م: ١٠٦)

وقد كتب الباحثون حول قصة يحيى وخشية حاكم عصره منه، وامتناع الحاكم من الزواج بزوجة أخيه: «مع شديد الأسف لم تكن رواية الأناجيل مقبولة. فقد يكون خبر قتل يحيى يحظى بقبول شعبي، وفي نفس الآن ينبئ عن القيام بعمل بشع، لكنه محفوف بأغلاط وأخطاء تاريخية جمّة. فمن كُتِبَ الأناجيل أشار - مُخطئاً - إلى كون فيلبس هو زوج هيروديا الأول. والظاهر أنهم خلطوا بين محل قتل يحيى - وهو قلعة مخايروس - وبين بلاط أنتيباس في مدينة طبرية. فكل السرد الإنجيلي يشبه حكاية شعبية، كي يذكّرنا عامداً بالصراع الموجود في العهد القديم بين إيليا وإيزابل «المعروفة بشرها» زوجة أخاب الملك «ملك إسرائيل.» (أصلان، ١٣٩٤هـ.ش: ١١١-١١٢)

ويحيى في الكتب المندائية المقدسة أخذ طابعاً عيسوياً - كما عليه عيسى بن مريم في القرآن - فلم يُقتل، ولكن شُبّه لهم: «إنّ ما يقوله المؤرخون عن استشهاد يحيى على يد حاكم فاسق يدعى هيرود وامرأة فاجرة...» لم يوجد في كتب المندائيين، ولا يتطابق مع معتقداتهم، لأنّ المندائي يعتقد جازماً بأنّ يحيى لم يُقتل، ولم يتسنّ لهم العثور عليه، بل شُبّه لهم شخص آخر فقطعوا عنقه وقتلوه. (عجيل زاده، ١٣٨٠هـ.ش: ٨٨)

الزواج ضرورة حاسمة في شريعة يحيى المندائي

لم يُضف يحيى النبي حكماً ولم يأت بشريعة مختلفة عما كان عليه المندائيون من عبادات وطقوس - كما يقول المندائيون أنفسهم، «بل أمضى وأحيا نفس المعتقدات والعبادات كالرُشامة والبراخة (الوضوء، والصلاة)، والمصوتا (التعميد)، والقابي (عقد الزواج)»، والطراصة. (خميسي، ١٣٨٣هـ.ش: ٣٧)

ومن الفصول الهامة في (دراسة إد يهيا) تلك التي تتحدث حول يحيى النبي، هو النص الثامن والعشرون (زواج النبي يحيى). فيحيى المندائي يختلف عن يحيى القرآني الذي كان ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (آل عمران ٣: ٣٩). وذكر المسلمون للحصور عدة معانٍ لكننا تعودنا - أو أحببنا - أن نحصرها في الذي لا يقرب النساء حصراً لنفسه أي منعاً لها من الشهوات كما في (كتاب اللغات في القرآن)، حيث الحصور «هو السيد الحليم بلغة حمير، والحصور الذي لا حاجة له بالنساء - بلغة كنانة». (المقري، ١٣٦٥هـ. ٢٢ - ٢٣) وبالتالي ذكر جلّ المسلمين أنّ يحيى لم يتزوج قطّ بذريعة لهجة كنانة. فهل نحن أمام يحيى آخر؟! - كما أثبتت الدراسات الحديثة وجود أكثر من (مسيح)، أو علي الأقل هناك يحيى تاريخياً وهناك يحيى حسب الرؤية الميثولوجية.

والنص التالي يوضح لنا اختلاف يحيى الحصور حسب التصور الإسلامي ويحيى المندائي، إذ بينما كان يفكر يحيى - بل يخشي - إن تزوج أن ينسي خالقه، ويخاف أن يزول اسم خالقه من ذاكرته، أو أن يتعد عن صلاته «جاءته رسالة من السماء تقول: يا يحيى! اتخذ لك زوجاً، ولتقر نفساً، ولا تغشاها يومي الأحد والخميس، واحذر كل ما هو باطل في هذه الدنيا الزائلة. .. فتزوج يحيى امرأة نقية من قريته، فولدت له في الحمل الأول (هندام) و(شارت)، وفي الحمل الثاني ولدت (بهرام) و(رهيمات هبي)، أما في

الحمل الثالث والأخير، فقد ولدت (أنصاب) و(سام)، و(أنهر زيوا) و(شار). قال يحيى لزوجته أنهر: أنتِ علّمي بناتك عدم الخنوع، وأنا أعلمُ أبنائي وأوصيهم أن لا يكونوا منغلقيين.» (دراسة إد يهيا، ٢٠٠١م: ٨٥) ومن أهم الشواهد علي ضرورة التزام المندائي بالزواج واقتدائه بآخر أنبياءه يحيى، هو أن المندائي - من أنثي وذكر - «لا يرقى إلي درجة (الكنزفرا) إلّا إذا كان متزوجاً.» (خميسي، ١٣٩٤هـ.ش: ٩٩) فيحيى هذا - مضافاً إلي أنه لم يكن حصوراً بمعناه المعجمي ولم يكن يختار العزوبة، وعظّ المندائيين وأكد علي الزواج كضرورة ملحّة: «اختاروا زوجات، وتزوجوا، ولا تقتزنوا بغير المندائيات، ولا تكونوا وقوداً للنار الحامية.» (دراسة إد يهيا، ٢٠٠١م: ٦٤)

ثقافة عبد الرزاق عبد الواحد الإنجيلية في يوحنا المعمدان

كما مرّ، فلم يقتل يحيى المعمدان إلّا في الإنجيل، والنصوص المندائية تذكرُ بوضوح بأنّ خامس أنبياء المندائيين مات حتفَ أنفه، والغريب في هذا الصدد أن نجد الشاعر المندائي عبد الرزاق عبد الواحد يستخدم يحيى - كرمز - من منظور إنجيلي، وبالتحديد خلافاً لما نقلته الكتب المندائية المقدسة؛ تلك الكتب التي كان لتصحيح أهمّها في نسختها العربية وتدقيقها اللغوي أثر بارز لهذا الشاعر يعتزّ به المندائيون وعبد الرزاق عبد الواحد نفسه. والصورة الإنجيلية لقتل يحيى هي وضع رأسه في طست أو طبق من ذهب - والتي استخدمها كثير من شعراء بلاد فارس في مئات الأبيات - نجدها في قصائد عبد الرزاق عبد الواحد:

«مَن يَعِيرُ الَّذِي يَحْثُ الْآنَ عَنْ مَوْتِهِ شَاهِداً؟

يَـ _____ يَـ

تَمَلِّكَ عَدَّ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ شَهْوداً

فَـ _____ رَأْسُكَ لَا تَبْحَثُ عَنْهُ

فَلَـ _____ إِلَى أَكْتَافِكَ

تُنْكِرُهُ السَّاعَةُ

تَسْـ _____ أَلْ أَنْ يَقْطَعَ

تُسأل أن تُحضِرَ رَشْماً هَدَمْتِ
يَا يَحْيَى دَعِ رَأْسَكَ
يَا يَحْيَى دَعِ رَأْسَكَ
يَا يَحْيَى دَعِ دَعِ...

(عبد الواحد، ٢٠٠٨م: ١٦٠)

ومن خلال هذا النص أعلاه، نرى بأن اهتمام الشاعر بصياغة كتابه الديني الأول لم يفده في تغيير الصورة المعهودة ليحيى حسب الصورة الإنجيلية؛ وكأنما يخشى أن يتجاوز المعهود وينقل ما هو صحيح حسب تعاليم دينه. فلنا أن نقول بأن قصائد عبد الرزاق عبد الواحد لا تسعى أن تقدم لقرائها وثيقة بقدر ما تسعى أن تستخدم الصورة السائدة لقتل يحيى. ولو شاء عبد الرزاق عبد الواحد لكان بوسعه أن يضيف صورة جديدة بتناص عكسي أو انزياح بخروج عن المؤلف. لكنه رجح التناص على الانزياح.

وفي قصيدة (هدوئك هذي الساعة) نجد يحيى النبي يسرد لنا قصة قتله - حسب ما صورته كتاب الأناجيل - لا كما جاء في الكتب المندائية:

«ألفي عام أبحثُ عن رأسي بين الأكتاف وبين الأرواس
كم جسم جسدًا مثلي يسعي
طفلاً
يا يوحنا خُذْ مِنِّي شِفَةً
طفلاً
يا يوحنا خُذْ مِنِّي عَيْنًا
صوت: يا يوحنا..
أرشد كنفِّي إليَّ رأسي»

(عبد الواحد، ج ٢، ٢٠٠٠م: ١٩٣ - ١٩٤)

وقد وجد الشاعر وكلُّ مَنْ بحث في النصوص المندائية أن يحيى في كتابه المندائي (إد راشه إد يهيا) هو الذي يروي لنا قصة حياته وموته. فعبد الرزاق أخذ هذا الأسلوب من هذا الكتاب، لكنه قتل يحيى علي غرار ما جاء في المسيحية.

ولم نضع اللوم علي عاتق عبد الرزاق عبد الواحد فحسب، فهناك كثير من الباحثين المسلمين المعاصرين ذكروا قتل يحيى علي يد هيرود، ومصادرهم مسيحية أيضاً، فقد قرأها عبد الرزاق وظنّها معتبرة صحيحة: «استكمالاً للأحداث وتوضيحاً لها لا بد أن نذكر أن هيرود تزوّج من هيروديا متحدياً بذلك شريعة مقرّرة، وأغضب ذلك الزّواج الربّاي (الحبر) يوحنون الذي اشتهر باسم يوحنا المعمدان، فعنف هيرود فحقّدت عليه هيروديا، ولكن هيرود اكتفي بحبسه، إلّا أن هيروديا لم تقنع بذلك فتسلّلت إلي فرض رغبتها علي هيرود في لحظة ضعف، فطلبت رأس المعمدان وكان لها ما أرادت، ولذلك كان كثير من المحاربين في جيش هيرود ضدّ الأنباط يعتقدون أن الهزيمة إنّما كانت عقوبة من العناية الإلهية لهيرود بسبب قتله للمعمدان، هكذا قال يوسيفوس (١٨ / ٥ : ٢)». (عبّاس، ١٩٨٧م: ٦٥)

و(لحظة الضعف) هذه هي دخول المرأة في الأحداث أو إدخالها منذ قضية آدم وزوجه! ونجد المرأة دائماً في أسباب كلّ الحوادث السيئة التاريخية مع أن القرآن جعل وزر التقرب من الشجرة والأكل منها علي عاتق آدم أولاً وبالذات. فهنا توجّه سهام الاتهام نحو (هيروديا) وابنتها، وكأنّما الملك وشهوته وعمله علي خلاف التوراة لا أثر له! وتسعى الكتب التاريخية جادة كي تزخرف الأحداث بآراء سالبة تجعل الإثم علي عاتق المرأة كي تسقط اللوم علي غير الرجال (وهم كتاب التاريخ)، وبالتالي تحطّم كيان المرأة وشوكتها - عن وعي أو دون وعي. وفي موت يحيى المعمدان المأساوي أعطي الدور الأمثل لهيروديا وابنتها (سالومي): «قد قبض عليه هيرود أنتيباس ملك الجليل لأنّه كان يشجب زواجه من هيروديا امرأة أخيه. وعندما كان هيرود يحتفل بعيد ميلاده رقصت سالومي ابنة هيروديا أمام المدعوّين فسُرّ برقصتها وأقسم تحت تأثير الخمر أنّه مهما طلبت يعطيها، فدفعتها أمّها أن تطلب رأس يوحنا، فأسقط في يد هيرود وأرسل وقطع رأس يوحنا وأحضره علي طبق (متي ١٤: ٣ - ١٢)». (السواح، ٢٠١٢م: ١٠٦)

التناص الإنجيلي في قصائد عبد الرزاق عبد الواحد

هناك شخصية مندائية تُدعى (أنش أثرا) وهو نفس الملاك (أنش) و(آنوش) - كما جاء في شرح مصطلحات كنزا رباً: «أحد الملائكة والأثريين الثلاثة (هيل) و(شيتل) و(آنوش)». (كنزا رباً اليسار، ٢٠١٠م: ١٢٧) وأنش أثرا هو الكلمة التي عبر بها القرآن عن عيسى بن مريم. فقد جاء في كتب المندائيين: «باسم الحي العظيم ❖ كلمة أنا من كلمات الله ❖ باسم (ياور رأيت) ❖ أنا الملاك آنوش بن الحياة العظمي.» (كنزا رباً اليمين ١٩، ٢٠١٠م: ٢٦٢) وأنوش / آنوش هذا يقوم بأعمال تشبه ما قام ببعضها المسيح بن مريم: «باسم الحي العظيم ❖...» بنوري أنيرت أورشليم، وأطلقت جميع الرياحين أريجها، الرؤوس المنتنة تضوّعت عطراً، العميان أبصروا، والمرضي تمّ شفاؤهم، حرّرت النطق بأفواه الصمّ والبكم، ومشى المقعدون.» (دراسة إديها، ٢٠١١م: ٢١٩ - ٢٢٠) وهذه الأعمال التي ذكرها القرآن أيضاً، وجاءت في نصوص كثير من الشعراء المعاصرين، ذكرت في بعض دواوين عبد الرزاق عبد الواحد، وذلك في حديثه عن وطنه العراق الذي يشفي كلّ العاهات والأمراض، لكنّ كلومه وجروحه لا تشفي:

«أعرفُ يا وطني أنّك تشفي الأعمي والأكمه والأبرص.» (عبد الواحد، ج ٢، ٢٠٠٠م: ٢٧٣)

ويعتبر (لعازر) من أهمّ الشخصيات الإنجيلية التي من خلالها يثبت لنا مكانة عيسى المسيح كرمز للبعث والحياة، ولعازر هذا هو الذي بعثه عيسى الإنجيلي المسيح المصلوب بعد موته، وتمّ استخدام هذه الشخصية الإنجيلية كثيراً في قصائد شعراء معاصرين. وقد يكون عبد الرزاق عبد الواحد في المقطوعة الشعرية أدناه قصد نفسه والعتمة التي يعيشها الشاعر أو بلاده العراق - وإن اتخذ لعازر قناعاً:

أنا المــــــــــــــــوتُ المؤجــــــــــــــــلُ يــــــــــــــــنكم
«أنا لــــــــــــــــلعازر
لا بــــــــــــــــد
لا آخــــــــــــــــر»

(عبد الواحد، ج ١، ٢٠٠٠م: ٤١٨)

فهنا لم يكن بوسع السيد المسيح / الوطن / عيسى بن مريم أن يفعل ما نُسب إليه من إحياء الموتى، ولو فعل ذلك - كما فعله بلعازر - لم يكن يجدي. فلذا يريد الشاعر من لعازر أن يبقى في تابوته:

«افسح تابوتك يا عازر
وادخل في فيه
لا توغل في هذا التيه
حتي لو صلب المصلوب عليك حشاشته ألفاً
لا تنهض
أننت دفنت به هذا التابوت
وبه ستموت
حتي يوم الدين
آمين...»

(عبد الواحد، ج ٤، ٢٠٠٢م: ١١)

فوجد هنا شاعرنا ذكر يوم الدين القرآنية، وآمين الإنجيلية ولعازر الذي «مرض ثم مات. فحزنت عليه أخته (مريم ومراثا) حتي ذهب المسيح إلي بيت لعازر ﴿...﴾ وطار بهم إلي قبر لعازر ورفع الحجر علي القبر ثم أمر لعازر بأن يقوم، وخرج لعازر يده ورجلاه مربوطات بأقمطة، فقام من القبر.» (إنجيل يوحنا: الإصحاح ١١) وهذا القسم الأخير صورة قرآنية أيضاً تعتبر من كرامات عيسى بن مريم، ولنا أن نقول بأن عبد الرزاق عبد الواحد جمع في قصيدته المذكورة أعلاه بين الثقافة القرآنية والثقافة الإنجيلية، وكان بوسعه أن ينسب هذه المعجزة لأشخاص مذكورين في الكتب المندائية - لكنه لم يفعل ذلك.

عيسى المسيح في قصائد عبد الرزاق عبد الواحد

لم يتخذ عبد الرزاق عبد الواحد مناهله الفكرية ورموزه من كتبه الدينية المندائية، فتارة يستخدم الرؤية القرآنية، وأخري الإنجيلية. فالمسيح الذي لم يصلب حسب نص

القرآن والنصوص المندائية - خلافاً للأناجيل الرسمية - يتم استخدامهم مصلوباً كرمز في قصائد عبد الرزاق عبد الواحد من منظور إنجيلي:

«وأري كل جندع صلياً وأري كل شخص يسوع.»

(عبد الواحد، د.ت: ٦٥)

فكما ذكر، يستند عبد الرزاق عبد الواحد إلى رواية المسيحيين حول موت يحيى - وهي مخالفة لرواية كتبه الدينية المندائية - كما يستند إلى رواية المسيحيين والأناجيل في موت عيسى بن مريم - وهي مخالفة لرواية المسلمين والقرآن. فهو لم يزحزح الرأي السائد حول يحيى والمسيح، ولم يتخذ الانزياح وسيلة للهروب من رأي يخالف ما جاء في نصوص كتبه السماوية:

«يأيهما الجسد الرب

هذي يدي أنكرتهما جميع النبوءات

تضرع أن تقبلها

إنني أتحسس أطراف كل المسامير في لحمك الحي

فامنح يدي جرأة أتحسس نفس الموضع في جسدي.»

(عبد الواحد، ٢٠٠٨م: ١٥٧)

وثقافة عبد الرزاق عبد الواحد ثقافة إنجيلية أكثر مما هي مندائية أو قرآنية في هذا المضمار، بل يعتبر نفسه المسيح المثخن بالجراحات، ونراه يعرف التفاصيل الإنجيلية ويذكرها في معرض نقده عن وضع البلدان العربية ولا سيما العراق - حكومة وشعباً:

«كلمنا غاضبنا أهلنا

نذكر العين بالعين، والسِّن بالسِّن

نأخذ بالعين عينين

والسِّن سنَّين

حدَّ العمَّي والحدَّ

ثُمَّ يَصْـفَعُنَا صَافِعٌ فَوْقَ خُـدِّ
وَحْـمَيْنَ نَـرَاهُ غَـرِيـباً
نَتَذَكَّرُ قَوْلَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَام
فَنُـدِيرُ لَـهُ خُـدَّنَا بِـاحْتِرَامٍ!»

(عبد الواحد، د.ت: ٥٧)

وقولة المسيح هذه كانت في ذاكرة عبد الرزاق عبد الواحد منذ نعومة أظفار قصائده.
فطالما أراد الشاعر أن يثير شعبه وحكومته ضد الخضوع أمام كل من يسيء إليه، فلذا
أنشد بامتعاض وسخرية:

«السَّـلَمُ أَنْـكَ إِن يَصْفَعُكَ مَجْتَرِمٌ تُدْرِ لَه الخَدَّ إِغْضَاءً مِنَ الثَّارِ!»

(عبد الواحد، ٢٠٠٠م، ج ١: ١٢٠)

ومع ما أن الشاعر يذكر المسيح في قصائده من نظرة إنجيلية، لكنه عندما كثرت
الحروب والفتن ضد العراق في العقد الأخير من القرن العشرين خاطب السيد المسيح
الحي الذي هو (ما صلبوه وما قتلوه) حسب النظرة القرآنية والمندائية:

«هــذِي بـلَادُ مَاءٍ يَسْفَحُ
وَزَرْعُهَا يَذْبَحُ
وَطِفْلُهَا يَصْـيَحُ
تَسْمَعُهَا يَسْـيَحُ يَدِي الْمَسِيحِ؟»

(عبد الواحد، ج ٤، ٢٠٠٢: ١٧٦)

والمعنى واضح، فليس بوسع المسيح - حياً كان أو ميتاً - أن ينقذ العراق ويخرجه من
تلك الحروب التي خاضها.

والطريف - كما ذكرنا - لا تعتبر الديانة المندائية عيسى المسيح تلميذاً مجبداً من تلامذة
يحيى نبيهم، فعندها عيسى وإن

«كان من الصّالحاء، لكنه خان بأسرار الديانة المندائية.»

(مبلغي آباداني، ١٣٧٣هـ.ش: ٣٧)

عيسى المسيح في قصائد لميعة عباس عمارة

تستخدم لميعة عباس عمارة بعض ما نسب لعيسى بن مريم من دعوته للسلام كي تدين ما يفعل باسمه في كافة أرجاء العالم - ولا سيما الولايات الأمريكية المتحدة. فقد كتبت هذه القصيدة أدناه في بغداد عام ١٩٥٨ إثر صدور حكم الإعدام على الزنجي (جيمي ولسن) من (تلل روك تكساس)؛ لأنه هاجم سيّدة بيضاء وسرق منها دولارين!:

«جيمي ولسن وآخرون من (تلل روك) وفي تكساس
يجردون من أقلّ معطيات الناس
في وطن الحريّة الفسّيح
في وطن يصنع من مبادئ المسيح
سلاسل لا تقيّد الأحرار
ورتباً تصنّف الأجناس».

(عمارة، ٢٠٠١م: ٦٣)

وقد ذكرت الشاعرة التي تسكن نفس الولايات المتحدة السيد المسيح، بل ذكرتنا به في حديثها عن فلسطين التي هي أرض المسيح ومولده الذي ترعرع فيه:

«ألا أبلغ الباغي الذي وضع الحدّ
بأنّ بلادي لا تباع ولا تهدى
أخي ليس فينا للتأسي بقية
فدع نارها توري وشمّر لها زندا
أنسنا بمعسول الأحاديث حقبة
فما خفف البلوى حديث ولا أجدى
وهذي فلسطين تمزق قلبها
مخالب وحش هداً أشلاءها هداً
لصهيون منها جنة طاب ظلها
يعيش بها من دون أربابها رغدا
أتشرب من دمع المسيح أزاهر
تزين حمقاء لتغري بها وغدا؟»

(عمارة، ٢٠٠١م: ٣٣- ٣٤)

وفي قصيدة (رهينة الديرين) والتي أنشدتها في دير يسوع الملك في لبنان تأتي الشاعرة المندائية بمفردات ونصوص شعرية تذكرنا بالمسيح مصلوباً:

«لست أيوبَ لن تُطيقَ وصالي هوشياً من الخرافة أقرب
أن تراني وحشية التوق للحب وتبقي معي الرفيق المهذب. ﴿...﴾
أنا رهن الديرين ، أنساني الحر مانُ جسمي ، ولذتي أن أصلب.»

(عمارة، ١٩٨٥م: ٩٧)

والسيد المسيح لن يصلب حسب ما جاء في الكتب المندائية التي لديها رؤية مختلفة عن بداية الخلق، وحياة يحيى وموته، وقضايا أخرى لم تكن معهودة في التراث الإسلامي والمسيحي. لكن لميعة عباس عمارة - حالها كحال ابن عمّتها عبد الرزاق عبد الواحد - لم تستخدم الانزياح كي تأتي برواية مختلفة عن المسيح - كما رسمته الكتب المندائية - ولم تخرج عن المألوف، بل تم في نصوصها استخدام المسيح كمادة متكررة متجذرة في لاوعي قراءها وقراءاتها، ولذا نجد نفس المفردات ونفس الصورة العامة للصلب، والمسيح، وحمل الصليب، ودمع المسيح ودمه، وما إلي ذلك في قصائدها. فهي هي تعتبر نفسها المسيح الذي أبي الذل والهوان فُصلب:

«كرامة نفس أبّت أن تُذل ويعلم حاجتها الأقرباء
وما أنا وحدي حملت الصليب فحولي ألوف من الأصدقاء.»

(عمارة، ٢٠٠١م: ٩)

فلو كانت لميعة عباس عمارة اعتبرت في البيتين أعلاه نفسها مصلوبة في تناص إنجيلي، نجدها في تناص قرآني تعتبر المسيح شافياً للأمراض وفمه مسبحاً لله:
«وحاصرني هواكم، كم عليل تمنى أنه منكم قريب
يرى كف المسيح على يديكم وفي فمه صلاة لا تخيب.»

(عمارة، ٢٠٠٩م: ١٢)

النتيجة

لو بحثنا النصوص المقدسة الدينية: إسلامية (القرآن)، ومسيحية (الأناجيل الأربعة: مرقس، ولوقا، ومتى، ويوحنا)، ومندائية (كنزاً ربياً، ودراسة إديها) - سواء اكتفينا بها أو استعنا بكتب أخرى من نفس الديانات الثلاث من كتب الخبر والأثر - لوجدنا أنفسنا

لسنا أمام يحيى واحد، وعيسى واحد. مع أن القرآن اعتبر الرسائل جميعاً رسائل سماوية واحدة، تختلف في بعض التغييرات الطفيفة في شرائعها. أما الاستعانة بالكتب التاريخية، فتزيد الطين بلة، ويمسي - من خلال بعضها - هناك يحيى ميثولوجي، وعيسى ميثولوجي - إن لم يكونا أسطوريين؛ أي كانا في الأصل شخصين عاديين تمّ تضخيمهما وإعطاءهما بعداً سماوياً.

وهناك رموز وميثولوجيات دينية مشتركة بين المندائية، والمسيحية، والإسلام أو تنفرد إحدى هذه الديانات بها. فعلى سبيل المثال يعتبر يحيى النبي غير مقتول في الكتب المندائية المقدسة، لكنّ الشعارين المندائيين ذكراه مقتولاً في قصائدهم على غرار النظرة المسيحية لحياته وقول الأناجيل بقتله ووضع رأسه في طبق. وفي هذه النظرة مادة شعرية قوية وكامنة - في نفس الآن - في لا وعي الشعراء وقرّاء الشعر معاً، فلم يرد الشعراء المندائيان عبد الرزاق عبد الواحد وليعة عباس عمارة أو لم ينتهيا إلى ضرورة زعزعة هذه النظرة حول يحيى - وإن كانت مخالفة لنصوص كتبهم المقدسة. فهما مع علمهما بدينهما، وإدخال مفردات تدلّ على تضلّعهما في هذا الدين ومشاركتهما في طقوسه في الأعياد والأعراس استخدمتا الصورة الإنجيلية حول نبيهم يحيى والسيد المسيح.

فلنا أن نقول في نهاية المطاف بأنّ الشعارين المندائيين - ولا سيّما عبد الرزاق عبد الواحد - كانا - في لاوعيهما - تحت وطأة النظرة العامة حول يحيى وعيسى - وهي نظرة إنجيلية - أو أعمالاً - في وعيهما - الرقابة الذاتية على نصوصهما الشعرية - إلى جانب رقابة الدولة، ورقابة الرأي العام - الكامنتين في الوعي أو اللاوعي أو فيهما معاً.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم

أولاً : الكتب الدينية المترجمة إلى العربية

- إنجيل مرقس.
- إنجيل لوقا.
- إنجيل يوحنا.
- إنجيل متى. (وتمّ تحميل الأناجيل الأربعة من موقع الأنبا تكلا هيمانوت - الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر <https://St-Takla.org>).

- كنزا ربّا. (النسخة العربية: كنزا ربّا؛ الكنز العظيم - الكتاب المقدس للصائبة المندائين. (٢٠١٠م). ترجمة: يوسف متي قوزي؛ صبيح مدلول السهيري. أعد الصياغة الأدبية: عبد الرزاق عبد الواحد. بإشراف اللجنة العليا للترجمة: بشير عبد الواحد يوسف؛ حمودي مطشّر تقي؛ داخل يوسف عمارة؛ نزار ياسر صكر. لجنة التدقيق والسلامة الفكرية: عبد الرزاق عبد الواحد؛ بشير عبد الواحد يوسف؛ حمودي مطشّر تقي؛ داخل يوسف عمارة؛ نزار ياسر صكر؛ أمين فعيل حطّاب؛ سميع داود سلمان؛ همام عبد الغني غياظ؛ صلاح جبار عوفي. الطبعة الخامسة. مطبعة جعفر الصامي.)
- دراشة إد يهيا. (النسخة العربية: يحيى بن زكريا. (٢٠٠١م). دراشة إد يهيا؛ مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا عليه السلام. الترجمة من المندائية: حطّاب، أمين فعيل. أعد الصياغة الأدبية: سلمان، سميع داود. بإشراف اللجنة العليا للترجمة: يوسف، بشير عبد الواحد؛ تقي، حمودي مطشّر؛ عمارة، داخل يوسف؛ صكر، نزار ياسر. بغداد. د.م.)

ثانياً: المصادر العربية

- ابن شهر آشوب المازندراني. (١٣٧٩هـ). مناقب آل أبي طالب (عليه السلام). المجلد الرابع. قم: انتشارات علامه.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري. (٢٠٠٥م / ١٤٢٦هـ). لسان العرب. مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي؛ إبراهيم شمس الدين؛ نضال علي. المجلد الثاني (مجلدان). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ابن النديم. أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالورّاق. (د.ت). الفهرست. تحقيق: رضا تجدد. د.م.
- الجزائري، نعمة الله. (١٤٠٤هـ). النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين. قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
- الرومي، جلال الدين. (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م). مثنوي مولانا جلال الدين الرومي. الكتاب الثاني. ترجمه وشرحه وقدم له: إبراهيم الدسوقي شتا. المجلس الأعلى للثقافة. المشروع القومي للترجمة.
- دراور، الليدي. (٢٠٠٦م). الصابئة المندائيون. ترجمة: نعيم بدوي؛ غضبان رومي. الطبعة الثانية. سورية: دار المدي للثقافة والنشر.
- دراور، الليدي. (٢٠٠٨م). آدم كسيه (آدم الخفي). ترجمة: نعيم بدوي. تنقيح ومراجعة: عبد الإله سباهي؛ رياض ناشي فرحان. الدنمارك.

- السّواح، فراس. (٢٠١٢م). ألغاز الإنجيل. دمشق - سوريا: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- السّواح، فراس. (٢٠١٦م). الله والكون والإنسان؛ نظرات في تاريخ الأفكار الدينية. دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. تحقيق: عبد الله بن محسن التركي. الجزء الثالث. بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية: عبد السند حسن يمامة.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. (٢٠٠٨م). الملل والنحل. أشرف علي تعديل الكتاب وقدم له: صدقي جميل العطّار. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- صالح، عبد الستار عبود. (د. ت). صابئة العمارة. بغداد: مكتبة النجاة للطباعة والنشر وتوزيع الكتب الإسلامية.
- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي. (١٣٩٥هـ). كمال الدين وتمام النعمة. المحقق والمصحح: علي أكبر غفّار. ج ١. چاپ دوم «الطبعة الثانية». تهران «طهران»: دار الكتب الإسلامية.
- عبّاس، إحسان. (١٩٨٧م). تاريخ دولة الأنباط. الأردن - عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عبد الواحد، عبد الرزاق. (٢٠٠٠م). الأعمال الشعرية. المجلد الأول. الطبعة الثانية. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- عبد الواحد، عبد الرزاق. (٢٠٠٢م). الأعمال الشعرية. المجلد الثاني. الطبعة الثانية. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- عبد الواحد، عبد الرزاق. (٢٠٠٢م). الأعمال الشعرية. المجلد الثالث. الطبعة الثانية. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- عبد الواحد، عبد الرزاق. (٢٠٠٢م). الأعمال الشعرية. المجلد الرابع. الطبعة الثانية. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- عبد الواحد، عبد الرزاق. (د. ت). يوميات أعرايي. باريس: دليل للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد الواحد، عبد الرزاق. (د. ت). الصوت؛ ملحمة شعرية. الطبعة الثانية. د. م.

- عبد الواحد، عبد الرزاق. (١٩٩٨م). صمت المحيطات. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة – آفاق عربية.
- عبد الواحد، عبد الرزاق. (٢٠٠٥م). قمر في شواطئ العمارة. دمشق: اتحاد كتاب العرب.
- عبد الواحد، عبد الرزاق. (١٩٩٧م). ديوان المراثي. بغداد: مطبعة زياد.
- عبد الواحد، عبد الرزاق. (٢٠٠٨م / ١٤٢٩هـ). قصائد مختارة. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- العدوي، أحمد عبد المنعم. (٢٠١٢م). الصابئة؛ منذ ظهور الإسلام حتي سقوط الخلافة العباسية. رؤية للنشر والتوزيع.
- عمارة، لميعة عباس. (١٩٨٥م). لو.. أنبأني العراف. الطبعة الثانية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عمارة، لميعة عباس. (٢٠٠١م). عودة الربيع والزاوية الخالية. الطبعة الثانية. بيروت: د.م.
- عمارة، لميعة عباس. (٢٠٠١م). أغاني عشتار. الطبعة الثالثة. د.م.
- عمارة، لميعة عباس. (٢٠٠٩م). قبل الـ٢٠٠٠. الطبعة الثانية. بيروت. د. م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (١٤٣٥هـ). ترتيب كتاب العين. المجلد الأول. تحقيق: مهدي المخزومي؛ إبراهيم السامرائي. تصحيح: أسعد الطيب. الطبعة الرابعة. قم: انتشارات أسوة.
- قاموس الكتاب المقدس. (د.ت). نخبة من الأساتذة. هيئة التحرير: بطرس عبد الملك؛ جون ألكسندر طوسن؛ إبراهيم مطر. د.م.
- كامل، جوزيف. (١٩٩٩م). قوة الأسطورة. ترجمة: حسن صقر؛ ميساء صقر. سورية – دمشق: دار الكلمة للنشر والتوزيع.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي. (١٤٠٣هـ). بحار الأنوار. المجلد الخامس والأربعون. الطبعة الثانية. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المقرئ، إسماعيل بن عمرو. (١٣٦٥هـ). كتاب اللغات في القرآن. حققه ونشره: صلاح الدين المنجد. القاهرة: مطبعة الرسالة.
- الملوحي، مظهر؛ الملوحي، أمل؛ لمعي، إكرام؛ العربي، نور. (٢٠٠٤م). قراءة صوفية للإنجيل يوحنا. تقديم: رضوان السيد؛ محمد ياسر شرف. دار الجليل.

ثالثاً: المصادر الفارسية

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل. (١٣٤٩هـ.ش). تقويم البلدان. ترجمه: عبد المحمد آيتي. انتشارات بنیاد فرهنگ ایران.
- أصلان، رضا. (١٣٩٤هـ.ش). غيور؛ زندكي و زمانه عيساي ناصري. ترجمه: فاطمه صادقي. تهران: نشر نگاه معاصر.

- بلادل، کوین فان. (۱۳۹۳هـ.ش). هرمس عربی؛ از حکیم کافرکیش تا پیامبر دانش. ترجمه: محمد میرزایی. نشر نگاه معاصر.
- بهبهانی، امید. (۱۳۸۴هـ.ش). در شناخت آیین مانی. تهران: بندهش.
- پیکلز، الین. (۱۳۹۴هـ.ش). انجیل های کنوسی. مترجم: ماشاء الله کوچکی میدی. شرکت انتشارات علمی و فرهنگی.
- جفري، آرتور. (۱۳۷۲هـ.ش). واژه های دخیل در قرآن مجید. ترجمه: فریدون بدره ای. انتشارات توس.
- خمیسی، ساهی. (۱۳۸۳هـ.ش). صابئین قوم همیشه زنده ی تاریخ، پرسش و پاسخ درباره ی صابئین مندائی (۱). انتشارات آیات.
- خمیسی (زهرونی)، ساهی. (۱۳۹۴هـ.ش). آیا صابئین مندائی را می شناسید؟. مقدمه: حسین عباسی. شرکت بین المللی پژوهش و نشر یادآوران.
- دائرة المعارف قرآن. (۱۳۹۶هـ.ش). به کوشش: مک اولیف، جین دمن. ویراستاران ترجمه فارسی: حسین خندق آبادی، مسعود صادقی؛ مهرداد عباسی؛ امیر مازیار. جلد چهارم (ص - ک). تهران: مؤسسه انتشارات حکمت.
- رابرتسون، آرچیبالد. (۱۳۸۷هـ.ش). عیسی؛ اسطوره یا تاریخ؟. ترجمه: حسین توفیقی. چاپ دوم. انتشارات دانشگاه ادیان و مذاهب.
- شیمیل، آنه ماری. (۱۳۸۷هـ.ش). عیسی و مریم در عرفان اسلامی. ترجمه: محمد حسین خواجه زاده. مؤسسه انتشارات امیر کبیر.
- عجیل زاده، پرویز. (۱۳۸۰هـ.ش). یحیی تعمید دهنده و صابئین مندائی. اهواز: مؤسسه فرهنگی آیات.
- فروزنده، مسعود. (۱۳۷۷هـ.ش). تحقیقی در دین صابئین مندائی. انتشارات سماط.
- مبلغی آبادانی، عبد الله. (۱۳۷۳هـ.ش). تاریخ ادیان و مذاهب جهان از ۳۵ هزار سال قبل تا کنون. جلد دوم. انتشارات منطق (سینا).
- میدی، رشید الدین ابو الفضل. (۱۳۷۶هـ.ش). برکزیده شرح کشف الأسرار و عده الأبرار. به کوشش: منوچهر دانش پژوه. نشر و پژوهش فرزاد روز.
- یاسپرس، کارل. (۱۳۸۸هـ.ش). مسیح. ترجمه: احمد سمیعی. چاپ دوم. شرکت سهامی انتشارات خوارزمی.

رابعاً : المواقع

- library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php ۱۴۳۹ جمادی الأولى
- www.islamweb.net ۱۹ جمادی الأولى ۱۴۳۹